أديب الفقهاء وفقيه الأدباء..!

كان أحمد المبارك واحداً من أفاضل مَنْ عرفت، ولم يكن الحرف وحده المؤاخي بيني وبينه، كما لم يكن بُعد المزار حائلاً دون اقتمال المناسبات للظفر بأكبر قدر من الوقت معه. سمعت به وكان ملء السمع والبصر، وحين لقيته لم أقل: «أهذا المغيريّ الذي كان يذكر» بل طابق الخُبرُ الخَبرَ.. وكل من لاقيت يبدي إعجابه وإكباره؛ وفي كل مؤتمر أو تجمع نخبوي تراه واسطة العقد. يتحلق الكبار والصغار من حوله لينهلوا من معينه الصافي والمتدفق. ذاكرة قوية حافظة. يتدفق علماً ومعرفة وسيرة تاريخية. إن تحدث عن لداته ومجايليه تضحك بسير عطرة. وأخبار جليلة. وإن تحدث عن نفسه قدم لك أطرافاً من التاريخ المحلي الحديث بوصفه واحداً من بُنَاته. وإن روى لك طرائف التاريخ وعلم الرجال أغدق على سامعيه سير الأبطال وبناة الحضارة. عاصر الملك عبد العزيز ورافق أبناءه من بعده. وسجلت ذاكرته القوية أطرافاً من سيرهم العطرة. ودعك من حفظه للمعلقات والمقامات ومنتخبات الغزل العفيف واللطائف والنوادر. إنه يتوفر على ذاكرة قوية لا يند عنها ما قرأ وما شاهده وما مارسه. ولهذا لا يبيح أحد من جلسائه لنفسه أن يتحدث بحضرته. فالجميع آذان صاغية وعيون محدقة. ومع سخائه في إمتاع المجالس بشهي القول فإنه كريم حين تزوره في «أحديته» التي كان لي شرف الإسهام في بعض مناشطها. وبيته كان مثابة للزوار من الأصدقاء والعلماء والطلاب وعشاق الكلمة الطيبة.

لقد كان وفياً لحكومته حين نهض بكثير من مهماتها، ووفياً لها بعد أن أقعدته الشيخوخة ينشر فضائل قادتها، ويروي تاريخ رجالاتها. سليم العقيدة. نظيف السريرة. يلقى مريديه بالهشاشة والبشاشة واللطافة والتواضع. ينطوي على ثقافة واسعة. ويشارك في قضايا متعددة. ويغلب على أحاديثه الإمتاع. فهو لا يثقل على سامعيه. ولا يضايق مستمعيه. متفائل ينظر إلى الوجه المشرق من الحياة. جاد لا يزجي الوقت بفائض القول. وحافظة تتداعى عنده الأبيات والأحاديث والأبيات والحكم والأمثال. فهو بحق موسوعة ثقافية تمشي بالأسواق.

كرمته الدولة. وقلده ملك

د. حسن الهويمل - السعودية

الإنسانية وسام المؤسس من الدرجة الأولى. وكنت ممن شرف بترشيحه في مجموعة المشورة التي يعقدها المهرجان الوطني للتراث والثقافة. ويفتتح جلساتها معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري رحمه الله. وحين طرح اسمه أجمع الكل على أهليته وأحقيته. وذكرياته في سفارته وأسفاره وابتعاثه حين يرويها تتمنى لو وقفت دورة الفلك ليقف الزمان ويمضي في روايته.

لقد قرأت عن القصاص والمذكرين وأصحاب المقامات فوجدته حين يتحدث خير شاهد على براعتهم وإمتاعهم.

وسيرته التي كتبها والحلقات الممتعة التي أغراه بكتابتها في (المجلة العربية) زميلنا وصديقنا الأستاذ حمد القاضي من أمتع السير الذاتية. وكم نحن بحاجة إلى مزيد من السير الذاتية يكتبها العلماء والأدباء ورجال الدولة أمثال معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر وأبي عبد الرحمن بن عقيل وأضرابهم. ففي جعب هؤلاء ما يمتع الفؤاد ويفيد الناشئة.

رحم الله أديب الفقهاء وفقيه الأدباء العالم العلامة الشيخ أحمد بن علي المبارك (١٣٣٧-١٤٢١هـ) الذي جعل من «أحديته» رابطة أدبية يدعو إليها الأدباء والعلماء وكبار الشخصيات. وبوفاته تكون أحديته قد تجاوزت العقدين من عمرها المديد. فالأمل بأنجاله وأسرته أن يتعهدوها وأن تظل رافداً أدبياً وعلمياً كما ظلت «خميسية» علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله.

لقد ظل وفياً للعلم والأدب طوال حياته. وأجزم أنه سيظل كذلك بعد وفاته. وليس غريباً أن يكون الفقيد بهذا المستوى المشرف. وأن يصل أنجاله وأحفاده ما انقطع. فالأسرة كلها أسرة علم وكرم واحتفاء بجلائل الأعمال. ولقد أشرت في رسالتي للدكتوراه إلى الأسر العلمية في مناطق المملكة وأثرها المتميز في فترة التكوين وفترة البناء وفترة الانطلاق" ■

* صحيفة الجزيرة السعودية - العدد ١٣٧٢٧.

أحد الرموز الأدبية

أ. عبدالله بن ادريس - السعودية

أعتبر بحق أن الشيخ أحمد بن علي المبارك هو أحد الرموز الأدبية.. ليس في الأحساء فحسب.. بل على مستوى المملكة العربية السعودية.

وهو في زمننا الحاضر أحد أكبر وأشهر أدباء الأحساء بالمنطقة الشرقية.. سناً وعلماً وأدباً وخلقاً.. كما أنه الروائي الشمولي الأول لأدب هذه المنطقة وأدبائها.. شعراً ونثراً وتاريخاً ورواية.

وهو عندما يتحدث عن «الأدب والشعر والتاريخ في هذه المنطقة من المملكة يأسرك بحلاوة حديثه، وقوة لغته، وبحافظته العجيبة التي يبدو لي أنه لا يوجد في وقتنا الحاضر من يماثله في قوة هذه الحافظة واستحلابها ساعات وساعات.. دون أن تمل هذا الحديث أو تستثقله بل تود منه الاستمرار فيما يعطيك من حديث العلم والشعر والأدب والتاريخ. ولقد استضفناه في النادي الأدبي بالرياض.. منذ سنوات في محاضرة عن الشعر خصوصاً والأدب عموماً في الأحساء وما جاورها.. وألقى محاضرته تلك ارتجالاً.. وكأنها مكتوبة حيث الذاكرة الواعية" ■

* صحيفة الجزيرة السعودية - العدد ١٣٧٢٢.